

السَّكِينَةُ وَالطُّمَأْنِينَةُ

الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ،
وَجَعَلَ الطُّمَأْنِينَةَ مُلَازِمَةً لَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَلَامُ
الْغُيُوبِ، بِذِكْرِهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، وَتَهْوَنُ الشَّدَائِدُ
وَالْخُطُوبُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ، أَيَّدَهُ رَبُّهُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ، وَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ
عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ ...

عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: وَأَنَا فِي الْغَارِ:

لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم:

«مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا) وَفِي لَفْظٍ:

(اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا) خ م .

عباد الله: إِنَّ الطُّمَأْنِينَةَ سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَى الشَّيْءِ

وَعَدَمُ اضْطِرَابِهِ وَقَلْقِهِ، وَهِيَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ

السَّكِينَةِ، ذَلِكَمْ لِأَنَّ السَّكِينَةَ بَدَايَةُ وَالطُّمَأْنِينَةَ

نَهَايَةُ، وَأَصْلُ السَّكِينَةِ هِيَ الطُّمَأْنِينَةُ وَالنُّوْقَارُ،

وَالسُّكُونُ الَّذِي يُنَزِّلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَافِ. فَلَا يَنْزَعُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ. وَذَلِكَ إِذَا قَامَ فِي قَلْبِهِ إِيمَانٌ رَاسِخٌ وَيَقِينٌ صَادِقٌ، وَاسْتِسْلَامٌ لِلَّهِ وَطَاعَةٌ، فَيَزِيدُهُ ذَلِكَ إِيمَانًا وَقُوَّةً وَثَبَاتًا .

السُّكِينَةُ تَكُونُ حِينًا بَعْدَ حِينٍ، لِيَصِلَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَهَا إِلَى الطَّمَأْنِينَةِ الَّتِي تُلَازِمُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ،

وَلِذَلِكَ أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ

وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي لَحْظَاتِ الْخَوْفِ وَالِاضْطِرَابِ، فَاسْتَرَاخَتْ قُلُوبُهُمْ وَسَكَنَتْ، وَزَالَ عَنْهَا الْخَوْفُ فَهَدَّاتُ (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السُّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ).

وَمَا أَكْثَرَ الْمَوَاطِنَ الَّتِي اضْطَرَبَتْ فِيهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، فَزَالَ عَنْهُمْ الْخَوْفُ وَالِاضْطِرَابُ، بَعْدَ أَنْ اجْتَهَدُوا حَسَبَ سُنَّةِ اللَّهِ فِي مُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ (فَأَنْزَلَ السُّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا).

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الْخَنْدَقِ، لَّا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَّوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَوَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ) فَضْرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ تُلْتَّ الْحَجَرِ، وَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا). ثُمَّ قَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ) وَضْرَبَ أُخْرَى

فَكَسَرَ ثُلْتَّ الْحَجَرِ فَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا) ثُمَّ قَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ) وَضْرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا) أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. إِنَّ السَّكِينَةَ إِذَا نَزَلَتْ عَلَى الْقَلْبِ اطْمَأَنَّ بِهَا، وَسَكَنَتِ الْجَوَارِحُ بِسَبَبِهَا؛ فَازْدَادَ الْعَبْدُ إِيمَانًا وَثَبَاتًا وَيَقِينًا، وَقِنَاعَةً وَرِضًا،

وبصيرةً وهدىً وتقوى، وحسنَ سمْتٍ، ثم إخبائًا
وحشوعًا، فلا يضطربُ، ولا ينحرفُ، ولا يميلُ.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ -عباد الله- إِذَا عَاشَ فِي ظِلَالِ السَّكِينَةِ

وَاجَهَ الْمُتَاعِبَ وَالْمَصَاعِبَ بِرِبَاطَةٍ جَاشٍ وَحُسْنِ

يَقِينٍ، وَاجْتَازَهَا بِقُوَّةٍ وَتَسْلِيمٍ، وَتَعَلَّمَ مِنْهَا الْحَيْطَةَ

وَالْحَذَرَ، مِنْ غَيْرِ تَسَخُّطٍ عَلَى الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ. قَالَ

الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه : «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ

الْخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى التُّرَابُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ. وَهُوَ يَرْتَجِرُ

بِكَلِمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه :

اللَّهُمَّ لَوْ لَأَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا

فَأَنْزِلْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُولَى قَدْ بَعَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا (خ. م .

عباد الله: إِنَّ الْمُصَابَ بِأَيِّ مُصِيبَةٍ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا

مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْفَقْرِ وَالْبَلَايَا وَالْمِحَنِ وَغَيْرِهَا، إِذَا

أَيَقَنَ بِمَوْعُودِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ، وَصَبَرَ عَلَى بِلَائِهِ، أَوْرَثَهُ

اللَّهُ سَكِينَةً وَطُمَأْنِينَةً، فَكَأَنَّهُ بِإِيمَانِهِ وَيَقِينِهِ

يُشَاهِدُ الثَّوَابَ، فَيَسْكُنُ قَلْبُهُ وَيَطْمَئِنُّ، وَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ

الرِّضَا، وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ الْبَلَاءُ إِذَا غَابَ عَنْهُ مُمْلِحَةُ الثَّوَابِ.

ولذا فالسكينة تُؤدِّي بالمصابِ إلى الصبرِ الذي هو

أثرُ اليقينِ الحاسمِ، وثمرَةُ الموقفِ الحازمِ، وهو

خيرُ ما يُعطاهُ الإنسانُ في مثلِ هذهِ المواقفِ. قال

ﷺ (مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ)

أحمد وغيره. فهو بابٌ عظيمٌ من حُسنِ الظنِّ باللهِ،

وَالأَمَلِ بِحُسْنِ الخَوَاتِيمِ.

إنَّ سُكُونَ القلبِ إِذَا جَاءَ أَنْتَجَ الطُّمَأْنِينَةَ الَّتِي

تَسْتَقِرُّ فِي القلبِ بِلا انْقِطَاعِ ولا فُتُورٍ، فَسَارَ

المُطْمَئِنُّ عَلَى طَرِيقِ الهُدَى وَسَبِيلِ النُّورِ

(فلما تراءى الجمعانِ قال أصحابُ موسى إنَّا

لمدركون قال كلاً إنَّ معي ربي سيهدين).

إنَّ أهلَ السكينةِ والطُّمَأْنِينَةِ لا تستفزُّهم

الأحداثُ، ولا يَقلِّقونَ ولا يعجلونَ، ولا يستخفُّونهم

الذين لا يوقنونَ، مُوقِنونَ بنصرِ اللهِ وإنِ تناولَ

الكُفْرُ، وتناولَ الفُسَّاقُ؛ لأنهم يوقنونَ بقولِ اللهِ

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)

أيها المؤمنون: إِنَّ النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ هِيَ النَّفْسُ الَّتِي
اسْتَتَارَتْ بِنُورِ اللَّهِ؛ فَصَدَّقَتْ بِوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ،
فَسَابَقَ صَاحِبُهَا إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَسَارَعَ إِلَى عَمَلِ
الصَّالِحَاتِ، وَأَسْنَهَمَ فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَنَفَّسَ
عَنْ إِخْوَانِهِ الْكُرْبَاتِ؛ أَمَلًا فِي نَيْلِ أَرْفَعِ الدَّرَجَاتِ
، وَهَذِهِ النَّفْسُ الَّتِي رَضِيَتْ وَأَطْمَأْنَتْ تَتَالُ شَرَفَ
النُّدَاءِ عَلَى اللَّهِ: (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي
إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ،
وَادْخُلِي جَنَّاتِي).

اللهم إنا نسألك أنفساً بك مطمئنةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ،
وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ .
بارك
اللَّهُ لي ولكم ...

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ... أَمَا بَعْدُ، فَيَا

عِبَادَ اللَّهِ:

مَنْ أَرَادَ السُّكِينَةَ وَطَلَبَهَا؛ سَلَكَ سَبِيلَهَا وَبَاشَرَ

أَسْبَابَهَا، وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ كَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى

وَالْتَوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَتَفْوِيضِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ؛ وَالصَّبْرِ عَلَى

مَا قَضَى؛ يُحَقِّقُ لِلْإِنْسَانِ الْهُدُوءَ وَالسُّكِينَةَ

وَالِاسْتِقْرَارَ، وَيَمْنَحُهُ الطُّمَأْنِينَةَ دَائِمًا بِاسْتِمْرَارٍ.

وَمِنْ وَسَائِلِ الْحُصُولِ عَلَى الطُّمَأْنِينَةِ الْقَلْبِيَّةِ:

ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ

بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ).

وعنه ﷺ (لَا يَقَعْدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ، إِلَّا حَفَّتْهُمُ

الْمَلَائِكَةُ، وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ

السُّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ). م .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: قرأ رجل الكهف، وفي

الدار الدابة، فجعلت تنفر، فسلم، فإذا ضبابة، أو

سحابة غشيته، فذكره للنبي ﷺ فقال: «اقرأ فلان، فإنها

السُّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ (خ).

إنَّ لقراءة القرآنِ عموماً ولآياتِ السكينةِ خصوصاً
أثراً في طمأنينة القلبِ وسكونه خصوصاً عند
الخوفِ والهلعِ والتوترِ وانزعاجِ النفسِ.

وَمِنْ وَسَائِلِ الْحُصُولِ عَلَى الطُّمَأْنِينَةِ الْقَلْبِيَّةِ:

التَّدَبُّرُ فِي آيَاتِ اللَّهِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالنَّظَرُ فِي آيَاتِهِ
الْكُونِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ كِتَابُ رَبِّكُمْ يَنْقُلُ لَكُمْ مَا
طَلَبْتُمْ مِنْ رَبِّكُمْ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ رَبِّهِ
لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ، فَيَرَى بَعَيْنِ الْيَقِينِ مَا عَلَّمَهُ بِعِلْمِ
الْيَقِينِ) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي

الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ
عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً
وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

عباد الله: وَمِنْ وَسَائِلِ اطْمَئِنَانِ الْقَلْبِ:

الصِّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَالْمَقَاصِدِ وَالنِّيَّاتِ،
قَالَ ﷺ (دَعِ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ
طُمَأْنِينَةٌ وَالْكَذِبُ رِيْبَةٌ) أحمد وغيره

فَالصَّدَقُ يُحَقِّقُ الطُّمَأْنِينَةَ فِي قَلْبِ الْمُتَكَلِّمِ، كَمَا
يُحَقِّقُ الطُّمَأْنِينَةَ فِي قَلْبِ السَّامِعِ، قَالَ ﷺ (عَلَيْكُمْ
بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ
يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى
الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا).

وَالْبِرُّ بِمَدْلُولِهِ الشَّامِلِ لِكُلِّ أَعْمَالِ الْخَيْرِ مِمَّا
تَطْمَئِنُّ النَّفْسُ إِلَيْهِ (الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ،
وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ
وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوَكَ) أَحْمَدُ

وغيره.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ حَظَّهُ مِنَ السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ
فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا فِي عِبَادَتِهِ، فَإِنْ وَجَدَهَا وَإِلَّا فَثَمَّةَ
مُفَاوِزُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا "يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرْحْنَا بِهَا".
وَقَالَ ﷺ: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ، فَاْمَشُوا إِلَى الصَّلَاةِ
وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا
أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتِمُوا" خ.

ثم صلوا ...